هل أنا فقيه ؟

لكن حينما يصل الأمر إلى الفقه أو العقائد أو مطلق المعارف الدينية يتحول الجميع إلى شيخ الطائفة أو العلامة أو المحقق أو فخر المحققين أو ملا صدرا فجأة.

فتارة يتكلم شخص لم يدرس حتى المسائل المنتخبة ولم يقع نظره على الشرائع ولم يسمع بشيء اسمه اللمعة ليتفلسف في الفقه ويعترض على السّؤال عن لحم المطاعم في بلادنا وكأنه فقيه عصره!

ومن الواضح أنه مصداق للعبارة المعروفة: (الجوع كافر)

إن كان يريد الأكل من أي مطعم فليأكل ولكن لا يحلّل ويحرّم بهواه وكأنّه أستاذ بحث خارج!

وتارة أخرى شخص يريد أن يستمع للغناء والموسيقى بأي شكل كان، ولكن يبدو أنّ شيئا ما يختلج قلبه فيتضايق من تقييد الشارع المقدس لذلك فيتحول لعلامة زمانه كي يحللها!

فلو سألنا الذي يتفلسف في الفقه ويشنف أسماعنا بنظرياته الأصولية وأطروحاته الفلسفية ومبانيه التفسيرية وقلنا له: هل أنت فقيه أم مقلد؟

فهل لديه الجرأة بأن يقول نعم أنا فقيه ؟

أم سيعترف أنه مقلد وكلنا يعرف أن المقلد يتبع فتوى من يقلده.

وفي بعض الأحيان تجد أن البعض يدعي فهم كلّ الروايات ولا يحتاج لأيّ شرح للرواية من قبل أي شيخ أو عالم، ولو فتحت كتاب الأجرومية وطلبت منه تقرير أول مطلب فيه لوقف في مكانه كوقوفه في إشارة شارع الهدلة.

رحم الله امرئٍ عرف قدر نفسه

إنّ طالب العلم يقضي سنوات في الحوزة العلمية لتحصيل أدوات المعرفة أو ما يطلق عليه بالعلوم الآلية ثم يبدأ في تطبيق ما حصّله على النصوص الشرعية من آيات وروايات حتى تحصل عنده ملكة الاجتهاد ومنها يصبح له الحقّ في استنباط الحكم الشرعي..

أما بعضنا فيقضي سنوات في ملاعب الحواري ثم تتبعها سنوات أمام التلفزيون والبلايستيشن وبعدها سنوات في المزارع مع أقرانه ثم يبدأ بمناقشة عقائد الطائفة وأحكامها الفقهية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

أليس أننا لو رأينا شخص كيميائي يتفلسف في الفيزياء أعبنا عليه ذلك وإن كان قد درس بعض مواد الفيزياء في الجامعة ؟ فلماذا في الفقه والعقائد يختلف الأمر ؟

واختم كلامي بقوله تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً * فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) التوبة: ١٢٢